المبحث الثَّامن

الهروب والجَوَلان

تعددت شكاية الآباء من بعض الأطفال، الذين باءت كافة الجهود المبذولة، في ردعهم أو منعهم من الهروب من المنزل بغية الجولان والتنقل، بالفشل، إلا إذا تم إغلاق كافة الأبواب والمنافذ في وجوههم؛ للحيلولة دون جولانهم، ومراقبتهم مراقبة صارمة مستمرة.

وهؤلاء الأطفال عادة كانوا يشرعون في جولانهم وترحالهم منذ الصباح الباكر، إما سيرًا على الأقدام، أو تعلقًا ببعض المركبات، حتى يصلوا إلى بعض الأماكن التي اعتادوا ارتيادها والتردد عليها، حتى إذا ما فقدوا كل أمل في العودة إلى منازلهم، لجأوا بطبيعة الحال إلى أحد رجال الشرطة مؤكدين له، أنهم ضلوا الطريق، وأنهم يطلبون إعادتهم إلى ذويهم، وغالبًا ما كان يتم ذلك دون مشكلات.

والغريب في الأمر أن الآباء كانوا يعاقبونهم عقابًا صارمًا وقاسيًا، دون أن يترك هذا العقاب أي أثر في نفوسهم، أو يردعهم عن الإتيان بمثل هذا السلوك مستقبلاً، بل كانت تصل الأمور إلى حد أن الأطفال كانوا يظهرون، وكأنهم قد اعتادوا مثل هذا العقاب؛ ليصير في النهاية أمرًا مفروغًا منه، وأنه ليس إلا قسطًا من الثمن، الذي ينبغي تسديده في سبيل هروبهم وجولانهم.

العوامل التي تؤدي إلى هروب الطفل وجولانه:

❖ **العوامل الذاتية:**

قد يجد هؤلاء الأطفال – الذين يستهويهم الهروب والجولان – متعة في ذلك، حيث يستثيرهم حب المغامرة والإقدام على كشف العوالم الجديدة، بعيدًا عن تلك الحدود التي رسمت لهم، فقيدت من حريتهم وشغفهم برؤية المناظر الآخاذة، والتعامل مع الوجوه والشخصيات الجديدة، واكتسابهم الخبرات المثيرة.

وهم في سبيل ذلك لا يحفلون بأبعاد الزمن، ولا يعبأون بقيود الأماكن، أو اتساع المسافات؛ لأن نشوة المغامرة تغمر كيانهم المتنامي.

وقد يكون الهروب راجعًا لعوامل الإصابة بالعاهات أو الإصابات، التي تعجز الطفل عن مسايرة زملائه الأسوياء في الفصل الدراسي، أو بجعله موضعًا لسخريتهم مما يجعل المدرسة تمثل خبرة غيرة سارة له، فتدفعه هذه العوامل إلى البحث عن وسائل ترضي ذاته خارج المجال المدرسي.

وقد يكون الطفل سليمًا من الوجهة الجسمية، إلا أنه مزود بقدرات عقلية محدودة، لا تمكنه من أن يتابع دراسته بالكفاية نفسها، التي لغيره من زملائه، وعلى هذا يكره المدرسة فيلجأ إلى الهروب والجولان.

❖ **العوامل النفسية:**

في عيادات التحليل النفسي، وُجد أن بعض الطفال ممن كانوا يهربون ويتجولون، قد جزموا أنهم في ترحالهم كانوا يهربون من الطرقات الضيقة المزدحمة التي يعيشون فيها، إلى أخرى أرحب وأجمل. كما أن البعض الآخر أكدوا أنهم سعدوا كثيرًا بصحبة بعض الأفراد والأشخاص، الذين كانوا يعاملونهم بحنوٍ ورفق، على النقيض من المعاملة الفاترة القاسية التي كانوا يلاقونها داخل نطاق أسرهم. وعلى ذلك يتضح أن هروب تلك الفئة لم يكن بسبب تواضع الأمكنة التي يعيشون فيها، بل تحقيقًا لإشباعات أكثر إلحاحًا تتمثل في الاشباعات النفسية والوجدانية، فانعدام الشعور بالأمن والاطمئنان،وافتقادهم إلى الحب والمودة وتحقيق الذات من الأمور التي تجعل هؤلاء الأطفال بائسين وحزانى، يحسون بالخشية والخوف على حياتهم النفسية والوجدانية، فيبحثون عمن يعوضهم ذلك فى بيئات أخرى ومع أناس مغايرين. ليس هذا فحسب؛ فالقسوة والتربية الصارمة والتنشئة تؤثر التأثير السيئ نفسه، فتؤدي إلى خلق ضمير أرعن، وتولد الكراهية للسلطة ولكل من يمثلها، وتجعل الطفل يقف من المجتمع

موقفًا عدائيًا، أو يستسلم لتملق الكبار أو الخضوع لهم، كما تُميت في نفسه الثقة بالنفس، وتقتل روح المبادأة، وتجعله يتحاشى القيام بأي عمل يدافع به عن نفسه.

وليس التراخي فى معاملة الأطفال بأقل ضررًا على الصحة النفسية من القسوة؛ فقد ثبت أن الطفل الذي ينشأ فى تراخٍ وتهاون، تظهر الاضطرابات الشخصية، والسلوك اللاسوي، وهو ما يظهر أيضًا على الطفل الذي نشأ على القسوة والتزمت فى المعاملة.

كما أن الإكثار من التخويف له آثاره النفسية الخطيرة، وقد ينعكس المكبوت فى سن مبكرة على حياة الطفل عندما يكبر، فيخشى الناس، ويصبح دائمًا على قلق واضطراب، فيجنح إلى الهرب بمعزلٍ عن الناس.

❖ **العوامل الأسرية:**

يؤثر كل من الأبوين تجاه الآخر، على صحة الطفل النفسية، وقد أثبتت الدراسات أن معظم الأطفال الذين يلجأون إلى الهروب والجولان، يأتون من منازل تكثر فيها الاحتكاكات الزوجية أكثر ممن يأتون من منازل فيها العلاقات الأسرية سوية وسليمة، ومن دواعي تفكك الروابط الأسرية مشاجرات الوالدين، التي قد تكون إحدى أسبابها سوء الحالة الاقتصادية، أو عجز أحد الوالدين أو كليهما نفسيا على نحو لا يجعلهما قادرين على مقابلة تبعات تربية الأبناء وتنشئتهم، وهذا كله يجعل جو المنزل جوًّا ثقيلا لا يطاق، فيهرب منه الطفل إلى الطرقات ليجول، ويبدأ سلسلة من الانحرافات غير المرغوب فيها.

كما أن الطفل الذي ينتظر في هلع وفزع ما سوف يحل به من عقاب نظير خطأ قد ارتكبه، وكثيرًا ما يكون هذا عاملاً مهمًا يدفع الكثير من الأطفال إلى الهروب، لأنه كلما كان العقاب قاسيًا وباطشًا وشديدًا، كان الدافع إلى الهروب والجولان قويًا وملحًّا؛ هربًا من العقاب الذي ينتظره. وإذا كان الطفل

كثير الإخفاق أو الفشل في حياته المدرسية، فقد يعود ذلك إلى أن المنزل الذي يعيش فيه الطفل غير مهيأ بطريقة تسمح للطفل باستذكار دروسه وأداء واجباته المدرسية على نحو مرض، حتى إذا جاء موعد ذهابه إلى المدرسة - دون أن يتم ما عليه من واجبات، أو لم يحفظ ما عهد إليه من دروس - فضل الطفل الهرب على مواجهة معلميه بهذه الصورة المتردية، وما قد يستتبع ذلك من عقاب. وقد يكون الجو الأسري بصفة عامة غير مشجع على التزود بالمعرفة وحب العلم والتعليم، أو قد يعهد إلى الطفل ببعض الأعمال التي تشغله عن تحصيل دروسه، كما في حال الأم التي تشغل ابنتها ببعض الأعمال المنزلية، أو الأب الذي يضطر بسبب سوء الأحوال الاقتصادية أن يكلف طفله بالقيام ببعض الأعمال خارج المنزل، حتى يعاونه في الوفاء باحتياجات الأسرة.

كما أن لصحبة السوء من الأصدقاء، الذين يعملون على إغراء الطفل بالوسائل المختلفة كمشاهدة العروض السينمائية، أو التنزه في الحدائق، أو الجولان في الطرقات، تأثيرًا كبيرًا في إدمان الطفل على الهروب، وبطبيعة الحال فإن كل هذا يتم في أثناء النهار وعلى حساب اليوم الدراسي. ومما يساعد على الانسياق وراء صحبة السوء هذه، عدم وجود قدرٍ كافٍ من الرقابة والضبط من جانب الوالدين، وكذا عدم إتاحتهما الفرص الملائمة المشروعة لأبنائهما للاستمتاع بمثل هذه الألوان من النشاط في الأوقات المناسبة، وتحت إشرافهما.

ويتعين على الآباء إدراك أن الأطفال في العادة يتكيفون بسرعة فائقة معايير الأسرة، ولكننا نجدُ أحيانًا من الأطفال ما يشذ عن هذا الوضع، فهؤلاء يبدون من الآراء والاهتمامات ما يختلف تمام الاختلاف عن الآراء السائدة في محيط الأصرة، ويمكننا أن نتأكد من أن أي طفل يبدي من الأفكار والاهتمامات والميول ما يشذ بشكل واضح عن تلك التي تسود بيئته المنزلية، إنما تؤدي به غالبا إلى أن يصبح في مستقبل حياته شخصًا شاذًا سيئ التكيف مع بيته.

❖ **العوامل المدرسية:**

يتضح في معظم حالات الهرب التي تم الكشف عنها وتحليلها، أن من أهم العوامل التي كانت تؤدي بالأطفال إلى الجولان والتنقل، أنهم كانوا يفتقدون في بيئاتهم المدرسية ما يشبع ميولهم ويحقق رغباتهم، وكان لقدرة هؤلاء الأطفال على كسب أصدقاء جدد من الكبار أو الصغار، والبهجة التي كانت تعود عليهم من هذه المخالطات، من الأمور التي كانت تشجعهم على تكرار محاولاتهم في دأب ومثابرة.

كذلك يترتب عن عدم توافر الأ نشطة الاجتماعية والرياضية بالمدرسة أن يذهب الطفل إلى المدرسة ليتلقى من معلميه ما يعطوه من معلومات فقط، كما يجلس بجانب تلاميذ لا تربطه بهم أية علاقة، والمعلم أيضا لا تربطه بتلاميذه أي علاقة أكثر من علاقة التلقين. كل هذا يجعل المدرسة تفقد عاملاً مهمًا في بناء التلميذ على نحو متكامل، وبالأخص في خلق جو اجتماعي، يشترك فيه التلميذ ويتفاعل معه وينتمي إليه، ومثل هذا الجو من شأنه أن يقتل الحياة الاجتماعية، بل قد يخلق أجواء اجتماعية غير صالحة، لهذا نرى بعض التلاميذ يفصحون عما عندهم من نشاط دفين بطرق غير موجهة في التدخين أو التخريب أو تكوين العصابات الصغيرة، إلى غير ذلك من الاضطرابات السلوكية المختلفة عن طريق وسائل كالهرب والجولان، والتي تستدعى في النهاية ضرورة الإسرع في علاجها؛ لذلك ينبغي توفير الأ نشطة المدرسية المختلفة للتلاميذ للمساعدة على النمو الاجتماعي المتكيف، ولإشباع حاجاتهم النفسية بالكامل، وتكوين علاقات سوية خارج دائرة الأسرة، والتي تعينهم على إتاحة الفرصة لتلبية حاجة الطفل والقبول، والتعبير عن الذات، وتنمية المهارات الحركية والاجتماعية.

وقد يلجأ الأطفال إلى الهروب والجولان في بعض الأحايين كمهرب من بعض المواقف الصعبة، التي تسبب لهم الإحباط؛ فالطفل إذا فشل في المدرسة، وعانى من جراء هذا الفشل، مهانة أو معايرة أو ازدراء، فقد يفعل أي شيء ليتجنب

الذهاب إلى المدرسة، لأن قدراته وامكاناته الذهنية قد لا تسعفه، حين يطلب منه استرجاع بعض الحقائق أو المعلومات، أو استظهار ما يطلب منه استظهاره، كما أن اضطراره للوقوف في الفصل الدراسي لمراجعة بعض النصوص أو الدروس، وإخفاقه الذي يحتم تدخل المعلم تدخلاً مباشرًا بتوجيه اللوم أو التأنيب له، وسط ضجيج التلاميذ بالضحك والسخرية، أمرٌ - بلا شك - فيه إيلام للطفل، أكثر بكثير من أي عقاب بدني صارم يتخذ ضده، فيحاول الهرب من تلك المواقف المحبطة. كذلك فإن سوء معاملة المعلم للتلاميذ واستخدام الضرب والقسوة كوسيلة للعقاب يدعم الاتجاه نحو كراهية التلاميذ للمدرسة - بشكل عام - وللمعلم - بشكل خاص - وبالتالي هروبهم منها؛ الأمر الذي يؤدي إلى ظهور أعراض الاضطراب النفسي بصور متعددة؛ ولذلك ينبغي أن يعد المعلم بحيث يستطيع النهوض بدوره التربوي على خير وجه، لأن المعلم يترك في نفوس التلاميذ الصغار أثرًا قويًا، فهو بوسعه القيام بأدوار متعددة، فيمكنه أن يقوم بدور الأب والمشرف والصديق والموجه والمعالج.

ومما لا شك فيه فإن المنهج المدرسي المرن المتوازن يدفع الطفل إلى التعلم والتعليم بآثاره الإيجابية، وتذوق المادة الدراسية عن طريق التكشف، وقد ثبت أن عددًا كبيرًا من حالات التأخر في التحصيل الدراسي، وما يصحبه من فشل أو شقاء أو عزوف عن المعرفة، وانسحاب من الحياة المدرسية عمومًا إلى الهرب والجولان، كان مبعثهما منهجًا دراسيًا ترك في نفس الطفل الشعور بالصد والكراهية والعجز.

كما لا يفوتنا - ونحن نتحدث عن الأسباب التي تؤدي إلى مشكلة هروب الطفل وجولانه - أن ننوه بأن الواجبات المدرسية أصبحت عبئًا ثقيلاً على الأطفال؛ لأن المدارس صارت تعتمد اعتمادًا كبيرًا على المنزل في أداء تلك الواجبات، التي قد يغالى الآباء في إعطائها للأطفال بدرجة قد تفوق إمكاناتهم وقدراتهم. وما ينتج عن ذلك من الإضرار بصحة الطفل النفسية، وتعرضه كذلك

للاضطرابات العنيفة بسبب الخوف من الفشل أو الإخفاق، ومن ثم التعرض للتوبيخ أو العقاب.

وإذا كان وراء هروب الطفل وجولانه، دلالات سلوكية، فلابد أن نعرف أن شخصية الطفل تتكون، ويتحدد سلوكه العام قبل التحاقه بالمدرسة. وكثيرًا ما يستطيع المعلم أن يصف سلوك أحد الأطفال، وأن يؤكد بأن هذا السلوك سوف يتكرر في المستقبل، ولكن لابد للمعلم لكي يفهم هذا السلوك من أن يبحث عن أسبابه، وكيفية نشأته. وهناك يأتي دور الآباء الذين يستطيعون أن يدلوا ببيانات ومعلومات على جانب كبير من الأهمية، بحيث تساعد على كشف الأسباب وراء سلوك أطفالهم.

ومن أهم النواحي التي يمكن للأب أن يلقي الضوء عليها ما يأتي:

- ❖ معلومات تتصل بنظام الطفل اليومي.
- ❖ معلومات تتصل بأعضاء الأسرة الآخرين كالإخوة والأخوات.
- ❖ معلومات تتصل بسمات الطفل، وخصائص سلوكه المميزة، التي لازمته منذ سنوات طفولته الأولى.
- ❖ معلومات تتصل بأصدقاء الطفل، وبأوجه نشاطه خارج المدرسة.
- ❖ معلومات تتصل بزملاء الطفل، الذين يلقاهم خارج المدرسة.

وبالحصول على هذه المعلومات أو على معلومات مماثلة، يصبح كل من الأب أو المعلم في وضع يمكنه من أن يختار من بين أنماط سلوك الطفل، سواء في المنزل أو في المدرسة، ما يساعد كل منهم على توجيه الطفل التوجيه السليم.

وينبغي أن يؤدي كل لقاء بين الأب والمعلم إلى تعميق فهمهم المشترك لجانب أو أكثر من جوانب سلوك الطفل، وينبغي أن يمعن كل من المعلم والأب التفكير في الجانب المهم من سلوك الطفل، الذي يكشف أكثر من غيره عن الصعوبات الأساسية التي يواجهها، والمشكلات الملحة التي يعاني منها.

❖ **العوامل البيئية:**

يدرك الأطفال أهمية تكيفهم لظروف البيئة، وما لهذا التكيف من أثر بالغ على شخصياتهم المتنامية. وقد يغلب على أسلوب تكيفهم للبيئة المحيطة بهم، وما تفرضه عليهم من مطالب، واحد من أنماط التكيف الرئيسية الثلاثة التالية:

❖ **التقبل التام لمتطلبات البيئة:**

قد يتقبل الأطفال الأنماط السائدة في البيئة تقبلاً تامًا، ويحاولون حث غيرهم من الأطفال على اتباع الأسلوب نفسه، ويؤدي تقبلهم الكامل لهذه المعايير الاجتماعية إلى أن تصبح جزءًا من تكوينهم النفسي، وبالتالي جزءًا متكاملاً من نمو سلوكهم.

❖ **التردد في تقبل متطلبات البيئة:**

وقد يتردد بعض الأطفال في تقبل معايير السلوك السائدة بين الجماعات، التي ينتمون إليها خارج المدرسة، ولكنهم في الوقت ذاته يحسون برغبة طبيعية في المشاركة في أوجه النشاط التي تقوم بها هذه الجماعة، وقد تتغلب رغبة الأطفال في تقبل الجماعة، مما يؤدي إلى انغماسهم الكلي في حياة الجماعة، وأخذهم بأي نمط من أنماط السلوك التي تحقق تقبل الجماعة لهم.

❖ **نبذ ما تفرضه البيئة عليهم:**

وقد ينبذ الأطفال ما تعرض عليهم البيئة من متطلبات بالعزوف عن الاشتراك في النشاط مع جماعات الأطفال في الجيرة، ويحدث هذا في البيئات التي يحرص فيها الآباء حرصًا زائدًا على عدم إشراك أبنائهم في أي نوع من الألعاب، إلا إذا كفلت لهم الطمأنينة والسلامة بالشكل الذي يرتضونه، ويحدث هذا أيضًا في البيئات التي تتميز بالقلق وعدم الاستقرار. ومهما يكن من أمر هذه الأسباب.. فإن إعراض الأطفال عن الاشتراك في الحياة الإجتماعية يعني - في واقع الأمر - انسحابهم، وعدم قدرتهم على التكيف مع مقتضيات الموقف الذي يواجهونه.

هذا ما يختص بتفاعل الطفل سلبًا أو إيجابًا مع البيئة. أمَّا قد يتأثر الطفل به، من الظروف البيئية المحيطة به، والتي تدفعه بدورها إلى الهروب والجولان، فهي تتمثل في تواضع الأحياء التي يقيم فيها بعض الأطفال، مما يدفعهم إلى ارتياد أحياء أخرى أكثر نظافة واتساعًا، على الرغم من كون والديهم يحوطونهم بالرعاية والعطف والمودة والإيثار، فالأطفال في تلك الأحوال يقدمون على ذلك، سعيًا وراء بيئات جديدة أكثر إشباعا لحياتهم الاجتماعية والمعنوية.

ونحسب أنه من الصعب أن يكون في منازل هؤلاء الأطفال الضيقة الكئيبة المزدحمة التي تعوزها الشمس والهواء، ما يعوض الهواء الطلق، والسماء الصافية، والشمس المشرقة، والفضاء الرحب الذي يستطيع الطفل أن يتلمسه في الحدائق، أو بين أحضان الحقول الخضراء، أو على شواطئ البحار الآخاذة، أو حتى في طرقات المدن الكبرى بجذبها الدائم لوجدان الطفل وانبهاره بها.

ولازدحام المنزل الذي يقطن فيه الطفل أثره كذلك على جوانب الحياة الإنسانية، فأنه فضلاً عن آثاره بالنسبة للبدن، فإن له أضرارًا أخرى بالحياة النفسية الداخلية، والسلوك الاجتماعي للفرد. والأطفال الصغار بطبيعة الحال أكثر تأثرًا بمثل هذه الحياة التي تعرقل نموهم النفسي، وتؤدي إلى اضطرابات الشخصية؛ فالمسكن الذي خطط له ونفذه متخصصون في الإسكان فقط، حيث لم يراعوا فيه أن الأسرة المكونة من اثنين سرعان ما تصبح ثلاثة أو أربعة أفراد، وهنا تبرز الآثار السيئة المترتبة على التخطيط غير السليم لعملية الإسكان، ومساحة المسكن وتنفيذه، كما أن ضيق الحيز المكاني يؤثر على مدى ما يكون عليه الوالدين من الاستقرار والهدوء النفسي، حال تعاملهم مع أطفالهم؛ فضلاً عن أن الطفل بطبيعة تكوينه يميل إلى الحركة والنشاط واللعب، وهذا يتطلب حيزًا واسعًا؛ كي يستطيع أن يبدد فيه بعض ما لديه من طاقة، فماذا لم يتمكن من ذلك، فيضطر إلى ممارسة أنماط من السلوك تثير القلق والاضطراب والضوضاء داخل المسكن، بالإضافة إلى حاجته الملحة إلى مكان أو حجرة خاصة لممارسة

اللعب بأدواته ولعبه، التي تقوم بدور مهم في تنمية معدلات فهمه واستيعابه واكتساب خبرات جديدة.

وضيق المسكن يؤدي أيضًا إلى وقوع الطفل تحت ضغوط انفعالية، تؤثر بدورها على نمط شخصيته، والتي تبدو جلية في عدم النضج، وقلة الاعتماد على النفس، والإتيان باستجابات غير متوافقة مع مثيرات الحياة التي يعيشها.

كما أن ضيق المسكن يترك أثرًا سيئًا على الوالدين وبقية أفراد الأسرة من الإحساس بالاضطراب والقلق النفسي، لأنهم يعيشون في حيز ضيق، لا يمكنهم معه الإحساس بالحرية واستنشاق الهواء النقي، وما يترتب على ذلك من سوء التعامل بين الوالدين من جهة، والأبناء من جهة أخرى، وبين الإخوة الكبار من جهة، والأطفال الصغار من جهة ثانية، وضيق المسكن قد يدفع الوالدان إلى تشجيع أطفالهما للخروج خارج المسكن رغبة في السكون والهدوء؛ وخاصة بعد عودتهما من العمل، ومثل هذا التصرف قد لا تحمد عقباه، حيث يلتقى الأطفال بغيرهم ممن هم في عمرهم أو أكبر منهم، أو ممن هم ، دون مستواهم الخلقي أو العقلي، ويتاح كذلك للأطفال فرص الاختلاط مع غيرهم من الناس دون لم إشراف من الوالدين، الأمر الذي يترتب عليه اكتساب الأطفال لكثير من الأنماط السلوكية، والخبرات الحياتية، التي لا تتناسب وعمرهم الزمني أو العقلي، بما تؤدي إلى عدم الفهم الدقيق لتلك الأنماط السلوكية، وعدم الإدراك السليم لهذه الخبرات؛ فيكتسبون منها ما يضر بشخصيتهم، وما يعوق نموهم النفسي السليم .

حتى نقي أطفالنا مخاطر الهروب والتسكع:

❖ ينبغي أن يعي الطفل الحدود التي لا ينبغي أن يتخطاها في لعبه أو لهوه، وإن تذكر له الأسباب المنطقية التي تدعو إلى التزامه تلك الحدود. وينبغي كذلك أن نهيئ كل طريقة لاستبقائه في هذه الحدود، كأن تلحظه أعين والديه، أو أن يحكم غلق الأبواب والمنافذ؛ حتى يبلغ السن التي يستطيع فيها أن يُدرك الضرر الذي سيلحق به من تخطى تلك الحدود؛ فإذا بلغ من العمر مبلغا يستطيع فيه أن يتفهم ما نلقيه عليه من تعليمات، وجب أن يوقع عليه نوعا من أنواع العقاب البسيط، إذا عصى نواهي والديه عن قصدٍ، كأن يُحجز بمفرده وحيدًا، أو أن يحرم من بعض المزايا، أو أن تصادر منه بعضا من لعبه - التي يؤثرها - بعض الوقت، أو أن بيدي أبواه، عدم الرضا، أو الإعراض المؤقت تجاهه، وما إلى ذلك من الأمور أو الوسائل، التي تثبت للطفل أنه قد ترتب على عصيانه من النتائج ما يضره.

❖ أن يبتعد الآباء والمربون عن استخدام وسائل العقاب البدنية الشديدة المؤلمة، كذلك أن يمتنعوا عن وسائل العقاب المعنوية من تشهير وتوبيخ واستهزاء بشخصه أو السخرية من تصرفاته؛ لأن كل هذه، الأساليب ثبت أنها تؤثر سلبًا على صحة الطفل النفسية. أما إذا كان من الضروري والمفيد في الوقت نفسه، توقيع عقاب مخفف على الطفل، فلابد أن يوقع في التو واللحظة دون تأجيل أو إبطاء.

❖ إذا كان لدى الطفل استعداد للهروب والجولان - أتى إليه عن طريق الوراثة أو الاكتساب - كان من الضروري أن نهيئ له في منزله ما يجذبه ويشد انتباهه ويثيره، ولا لجأ للهروب ليلتمس المتعة بعيدًا عن أسرته، فنستعين في هذا بنوادي الأطفال والملاعب والمكتبات وأهم من ذلك أن يرافق الآباء والأمهات أطفالهم في نزهات داخل ملاهي أو مسارح الأطفال، حتى يرشدوا خطاهم في حبهم للمغامرة والإقدام، واكتساب مزيد من الخبرات الشيقة المثمرة، على أن الأطفال الذين يعيشون حب المغامرة، كثيرًا ما تكون قصص المغامرات الشيقة المثيرة منفذًا

لإشباع انفعالاتهم وتصرفهم كذلك - وفي أغلب الأحوال - عن الهروب والجولان.

❖ على الآباء أن يبحثوا عن الأسباب التي تؤدي إلى هروب الطفل وجولانه، وأن يحددوها تحديدًا دقيقًا، ومتى توصلوا إلى ذلك.. فإن العلاج يصبح واضحًا، ولهذا يمكن للآباء في هذه الحالة الالتجاء إلى الأجهزة الفنية التي تساعد العملية التعلمية، مثل: العيادات النفسية، ومراكز توجيه الطفولة.

ونوجز بعض هذه المسببات التي يجب أن يوليها الآباء عناية وتدقيق؛ حتى يمكن علاج المشكلة أسريا ومدرسيا في النقاط التالية:

❖ مدى إرهاق الطفل بالواجبات المنزلية، وتكليفهم بأعباء فوق طاقتهم وإمكاناتهم.

❖ مدى إحساس الطفل بالفشل في متابعة المناهج الدراسية.

❖ مدى انصراف الآباء عن متابعة أبنائهم، ونقص رقابتهم.

❖ مدى النقص في طموح الأطفال نحو الاستمرار في التعليم.

❖ مدى تراخى الإدارة المدرسية وعدم متابعتها لحالات الغياب الفردية.

❖ وجود نشاط مدرسي متنوع ومثير، يهيئ للأطفال الفرص المتعددة للنمو الاجتماعي السليم، وإشباع حاجتهم إلى المساهمة مع الغير والتعاون، وتكوين علاقات سوية خارج دائرة الأسرة، وتعينهم كذلك على حفظ التوازن بين مختلف القيم والمستويات بما تزود من فرص لتلبية حاجة الطفل إلى المكانة والقبول، والتعبير عن الذات، وتنمية المهارات الحركية والاجتماعية؛ مما ينعكس أثره آخر الأمر على شخصية الطفل وصحته البدنية والنفسية معًا.

❖ الطفل في حاجة ملحة إلى التغيير في حياته اليومية المدرسية، وهو في حاجة إلى أن يعفى من العمل العقلي المجهد، ويشترك في أوجه النشاط المختلفة التي تجلب إلى نفسه التجدد، وإلى عقله نوعًا من الراحة الذهنية؛ ولذلك وجب على المدرسة أن تكثر من فترات الراحة، على ألا تكون هذه الفترات قصيرة بشكل لا يحقق

الفرص السابقة، أو طويلة فتسبب ملل التلاميذ. ويحسن أن تكون هذه الفترات مجالاً لأن يلعب فيها التلاميذ لعبًا منظمًا صحيحًا ومفيدًا.

ومن الخطأ أن نحرم الطفل من اللعب والتسلية في أوقات الراحة كعقاب له بسبب فشله في عمله المدرسي؛ لأن هذا الأسلوب من أساليب العقاب قد يؤدي بالطفل إلى كراهية العمل نفسه، طالما أن العمل وفشله فيه، هو الذي حرمه من المتع، التي يحصل عليها في فترات الراحة.

❖ للرحلات التي تقوم بها المدرسة أهمية كبرى في علاج ظاهرة الهروب والجولان، والرحلات نوع من أنواع النشاط الحر الذي يتيح للأطفال - مع الأجواء الترويحية المرحة - كثيرًا من القيم التربوية، التي تساعدهم على الخروج من نطاق الاعتماد على الكتب الدراسية داخل الفصول، إلى نطاق الاعتماد على النفس في كسب المعلومات، عن طريق الخبرة المباشرة، كما أن الرحلات تساعد على تكوين علاقات اجتماعية سليمة، وعلى كسب كثير من الاتجاهات والعادات المقبولة.

والرحلات تتيح للأطفال فرص تعرف الأشياء ومظاهر النشاط المختلفة في جو طبيعي خال من التكلف والافتعال، وحافل بشتى ضروب المرح والابتهاج، وهذا يحقق للأطفال التعليم عن طريق الخبرة المباشرة، والممارسة الفعلية التي تجعل معنى التعليم يمتد إلى تعديل السلوك وترقية التربية فيمنح الطفل التكامل نفسيا ووجدانيا واجتماعيا وصحيا وخلقيا، فضلاً عن الارتقاء بمستوى التحصيل العلمي.

❖ كما أن للمعسكرات قيمة كبيرة في حياة الأطفال، تساهم في وقاية الطفل من الهروب؛ فالمعسكرات المدرسية تهيئ للأطفال فرص العمل التعاوني المنظم لخدمة الجماعة فيساعد هذا على تكامل شخصيتهم الاجتماعية، ويكسبهم القدرة على تحمل المسئوليات والإعتماد على النفس والثقة بها، وقوة التحمل مع الصبر والمثابرة، والمحافظة على النظم والقوانين، إلى جانب ما يتيحه لهم

المعسكر المدرسي من قضاء أوقات سعيدة في المرح واللعب، مع ما يكتسبونه من علاقات ودية مع تلاميذ المدارس الأخرى، وما يقومون به من جولات كشفية وندوات ثقافية ومباريات رياضية، وما يجدونه من الفرص السانحة لممارسة الهوايات الخاصة بهم.

❖ والحفلات المدرسية إحدى الوسائل أيضًا التي تساهم في علاج هذه المشكلة؛ فالحفلات المدرسية هي وسيلة لإظهار نشاط التلاميذ وإشعارهم بمقدرتهم على النجاح ومواجهة الآخرين واكتساب إعجابهم، بجانب ما تتيحه للأطفال من فرص لاكتساب المهارات المتنوعة والخبرات المختلفة والاتجاهات الاجتماعية السليمة كالتعاون وتحمل المسئوليات والنظام. والحفلات المدرسية من الوسائل التي تستطيع المدرسة أن تستعين بها على نشر الوعي الصحي والاجتماعي والوطني والديني، وغير ذلك من شتى الميادين بين التلاميذ وأولياء الأمور وأهالي البيئة التي توجد المدرسة بها، بما تقدمه في حفلاتها من برامج، تتضمن اتجاهات اجتماعية وقومية وصحية واقتصادية، خلاف ما تقدم من برامج ترفيهية مسلية.

❖ كما أن للجمعيات والنوادي التأثير نفسه، فيتزايد الآن إدراك المجتمعات المحلية بمدى التأثير الفعال الذي تقدمه الجمعيات والنوادي في بناء شخصيات الأطفال؛ لذا بادرت الجماعات والمنظمات المختلفة بتوفير الإمكانات اللازمة لممارسة الأطفال أنواع النشاط الرياضي والاجتماعي وغيرها. كما تقوم المدارس ودور العبادة ومراكز الشباب بتخصيص بعض حجراتها لإنشاء النوادي المحلية، التي يجتمع فيها الأطفال، تحت إشراف رائد أو مشرف اجتماعي.

وعلى الرغم من تزايد الإمكانات المتاحة للأطفال لممارسة ألوان النشاط المختلفة خارج المدرسة، إلاَّ أنَّ الأطفال لم يستغلوا بعد هذه الإمكانات الاستغلال الكافي. ويمكن للرائد أو المشرف الاجتماعي أو المعلم أن يزيد من فهمه واستبصاره بالميول والاهتمامات الفردية للتلاميذ ونضجهم الانفعالي وتكيفهم

الاجتماعي، عن طريق ملاحظاتهم في أثناء نشاطهم داخل هذه النوادي، أو عن طريق تتبع أنشطتهم ومواقفهم مع رواد الأنشطة المنضم إليها.

ويستطيع رائد النادي أن يعرف الأطفال، الذين يحضرون بانتظام للنادي، والأطفال الذين يتضح من سلوكهم أنهم دفعوا إلى عضوية النادي نتيجة ضغط وإلحاح آبائهم لما يرجونه من فائدة تعود على أبنائهم، نتيجة التحاقهم بهذه النوادي، والأطفال الذين يجدون صعوبة في الاندماج مع زملائهم لأن آباءهم يفضلون لعبهم في المنزل، والأطفال الذين لا ينتظمون في الحضور للنادي؛ لأنهم يحسون أحيانا بالحاجة إلى الاحساس بالكبر، وبالشعور بأنهم قد تركوا جماعة الجيرة إلى جماعة النادي، ويحسون أحياناً أخرى بعدم الارتياح والطمأنينة لهذا الوضع الجديد، وبالتالي بالحاجة إلى العودة إلى المرحلة السابقة، واللعب مع جماعة الجيرة وفي النطاق المحلي الضيق.

وعندما تثير ألوان النشاط المختلفة في النادي ميول الأطفال واهتماماتهم، فإنه يمكن حينئذ تقدير مدى النضج الانفعالي لكل طفل، على أساس مدى إحساسه بمسئولية المواظبة على الحضور، وكذا على مدى توحده مع الجماعة وتفاعله معها. ويمكن للمعلم أن يقوم بملاحظة سلوك الأطفال في النادي والتحدث إلى رائدهم، وأن يكون صورة واضحة من الأنماط السلوكية المميزة للسلوك الاجتماعي لكل طفل من الأطفال.

❖ لابد من التخطيط السليم لعملية الإسكان، على أساس من التنبوء العلمي الصحيح، وليس على أساس التفكير الفوري لحل مشكلة الإسكان، دون مراعاة ما يمكن أن يحدث من نتائج نفسية واجتماعية حال الأخذ بمثل هذه الحلول الوقتية، هذا مع الأخذ في الاعتبار ضرورة إشراك كل من يعينهم الإنسان - كل في مجال تخصصه - حال التخطيط والتنفيذ، وألا يقتصر التخطيط على جهة واحدة كالمهتمين بالإسكان فقط، بل يجب أن يشرك معهم - على سبيل المثال - بعض المتخصصين في مجال الصحة الجسمية والصحة النفسية

وخبراء العلاقات الاجتماعية، حتى يمكن التخطيط السليم لنوعية المسكن، الذي يعد البيئة الأولى التي ينتشق فيها الطفل هواء الحياة، الذي يعينه على الاستمرار والبقاء فيها، يؤدي دوره بشكلٍ سوى سليم.

obeikandl.com